

الحلقة الخامسة والثمانون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، وذلك لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

انتهينا في اللقاء الماضي بالحديث عن الأمثال التي كتبها أجور ابن متقيّة مسّا. وفي اللقاء السابق تكلم أجور عن أربعة أمور تضطرب الأرض تحتها. أربعة مخلوقات حسنة في سيرها. وختم أجور بدعوتنا إلى عدم الغرور بالنفس، وتدبير المكائد، وإثارة الغضب الذي يوّد الخصام.

نتنقل اليوم إلى الأصحاح الأخير من سفر الأمثال، وهو الأصحاح الحادي والثلاثون. ويخبرنا هذا الأصحاح في بدايته أن كاتب الأعداد الأولى منه هو لموئيل ملك مسّا. وكما ذكرنا سابقاً فإن مسّا هي قبيلة عربية من نسل إسماعيل ابن إبراهيم الخليل من جاريته هاجر. وكانت تقطن في شمال الجزيرة العربية.

يخبرنا العدد الأول من هذا الأصحاح أن الكلام الذي يريد أن يتحدث به لموئيل، قد علّمته إياه أمه. وهذا يؤكد ما كنا قد ذكرناه سابقاً أن قبيلة مسّا قد اشتهرت بحكمتها. وتبدأ والدته بالقول: "ماذا يا ابني ثم ماذا يا ابن رحمي ثم ماذا يا ابن نذوري". (أمثال ٢:٣١) يبدو من هذا العدد أن لموئيل كان الابن الذي رزقته به والدته استجابة لنذورها. وكانت النذور في ذلك الزمان تعني تعهد الوالدين أو الوالدة لله، بأن يفرزا المولود الذي سيولد لله، أو يخصصاه لعمل معين، إذا استجاب الله ورزق الأهل هذا الولد.

ولدينا في حادثة ولادة النبي صموئيل من والدته حنة التي كانت عاقراً أكبر مثال. فقد صلّت حنة إلى الله "وبكت بكاء ونذرت نذراً وقالت: يا رب الجنود إن نظرت نظراً إلى مذلة أمتك وذكرتني ولم تنس أمتك، بل أعطيت أمتك زرع بشر فإني أعطيه للرب كل أيام حياته..". (١ صموئيل ١:١١) وفعلاً رزق الله حنة بصبي، فدعته صموئيل وأرسلته وهو صغير ليقم في الهيكل، أي أعطته لله. ثم أصبح فيما بعد النبي صموئيل. ويبدو أن والدة لموئيل كانت قد نذرت للرب أنه إذا أعطها صبيّاً، فستريه بحسب الشريعة الإلهية. ولهذا نراها توجّه له بعض النصائح الهامة.

قال لموئيل إن والدته وجّهت له ثلاث نصائح. النصيحة الأولى تحذّره فيها من شهوة النساء. فقالت له: "لا تعطّ حيلك للنساء ولا طرقك لمهلكات الملوك". (أمثال ٣:٣١) إن شهوة النساء والوقوع في أحابيل إغراتهم، لا بد أن يأتي بالضرر الكبير لا سيما على الملوك والحكام. لقد سقط قديماً الكثيرون من ملوك بني إسرائيل في خطيئة شهوة النساء، فكانت النتيجة أن ابتعدوا عن عبادة الله، والسير بحسب شريعته. واتجهوا لعبادة الأوثان وتقديم الذبائح لها، وسلكوا في طرق الفساد والشر. فدانهم الله واستحقوا عقابه الشديد. لهذا نجد أن والده لموئيل اعتبرت خطيئة شهوة النساء، هي الخطيئة التي تأتي بالهلاك على الملوك. ولكن ماذا عن غير الملوك والحكام؟ ألا تجلب هذه الخطيئة عليهم الدمار والعار؟ بالطبع نعم، لأن نتائج هذه الخطيئة لا تفرّق بين إنسان في منصب عال وإنسان عادي.

لقد حذرنا سليمان الحكيم في سفر الأمثال كما ذكرنا في حلقات سابقة، من الانجرار وراء خطيئة الزنا. ووصف الشاب الذي يقع في حبال الزانية: "كثور يذهب إلى الذبح أو كالغبي إلى قيد القصاص، حتى يشق سهم كبده. كطير يسرع إلى الفخ، ولا يدري أنه لنفسه". (أمثال ٧:٢٢ و٢٣) وأوصى الله الإنسان في شريعته قائلاً له: "لا تزن". (خروج ٢٠:١٤) أما الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل فقد حذّر المؤمنين بالمسيح قائلاً: "اهربوا من الزنى. كل خطية يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد. لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده". (١ كورنثوس ٦:١٨) فهل تراك مستمعي تدرك مدى خطورة هذه الخطيئة ونتائجها المدمرة على حياتك؟ لقد نظم الله العلاقة بين الرجل والمرأة عن طريق الزواج. لكن أية علاقة خارجة عن الزواج يعتبرها الله علاقة زنا، وستكون لها عواقب وخيمة على حياة الإنسان ومستقبله.

ما هو مفهوم الزواج في المسيحية ياترى؟ كتب الرسول بولس عن هذا الموضوع الهام قائلاً: "أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب... كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه... من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً". (أفسس ٥:٢٢، ٢٨، ٣١) يبدو واضحاً من كلام الرسول بولس أن هناك تساوياً وتوازناً في العلاقة بين الزوج وزوجته. إذ على الزوجة أن تخضع لزوجها، لكن على الرجل في المقابل أن يحب زوجته كمحبته لنفسه. فعندما يكون هناك خضوع من الزوجة ومحبة من الزوج، يُبنى الزواج على الأساس الصحيح. هذا الأساس القائم على المحبة والتفاهم الكامل. لهذا عاد الرسول بولس وأكد ما سبق لله أن وضعه منذ بداية الخليقة: أن الرجل والمرأة يصبحان في الزواج جسداً واحداً. إن الزواج في المسيحية إذن هو إتحاد كامل بين الزوج وزوجته. ولهذا تعتبر أية علاقة مع أي شخص آخر هي علاقة زنا.

ولقد أوضح كاتب سفر العبرانيين هذه الحقيقة عندما كتب قائلاً: "ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد والمضجع غير نجس. وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله". (سفر العبرانيين ٤:١٣) أي أن الله قدّس الزواج والعلاقة بين الزوج وزوجته، لكنه في نفس الوقت يدين الزناة. مستمعي الكريم، يجب على الشاب والشابة إذن أن يبتعدا عن أية علاقة لا يكون هدفها الزواج. وفي نفس الوقت إننا جميعاً نعلم مدى الاغراءات التي تحيط بهما، وسهولة انجذابهما وسقوطهما في الخطيئة. والسؤال الآن هو: هل هناك من يساعد الشاب والشابة على حفظ أنفسهما من السقوط؟

نعم، يوجد مخلص يستطيع أن يقدم المساعدة لأي شاب أو شابة، ليجنبهما السقوط في خطيئة الزنا، وغيرها من الخطايا. وهذا المخلص هو يسوع المسيح الذي قال عن نفسه: "أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة". (بشارة يوحنا ٨:١٢) فهل تود مستمعي أن تتبع هذا المخلص العظيم؟ فيحررك من عبودية الخطيئة، ويهبك القوة المحررة، ويجعلك إنساناً جديداً، قادراً على تجنب كل الاغراءات المحيطة بك، والسير في الطريق الصحيح!